مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي المجلد الخامس-العدد الاول/ يناير 2025
ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

جدلية العلاقة بين الهوية اللغوية والهوية الثقافية

الأستاذ الدكتور محمود يوسف حسينات

قسم اللغات الحديثة– كلية الآداب– جامعة اليرموك

malali@yu.edu.jo

ملخص: "اللغة هي الهوية، التي تجعل الأمة تتميز عن غيرها من الأمم، وضياع اللغة يعني فقدان الهوية، والبحث العبثي عن المستقبل". تنبع أهمية البحث من الدور الأساسي للغة كل أمّة تبحث عن الريادة والمستقبل. وأيُّ أمّة تستهين بلغتها، إنما تُضيّع ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ولا يمكن لأمّة تبحث عن العالمية، خاصة في هذا العصر، الذي تتبوأ فيه الإنجليزية المركز الأول لغويّاً بسبب قوة الناطقين بها، أن تجد ضالتها في الإنجليزية أو في غيرها من اللغات. فالعربية كانت لغة لأربعة عشر قرناً، ليس في العالم العربي وحده، ولكن في العالم الإسلامي، يمكن أن تعود إذا استلهمت الأمة ماضيها، وتبوأ مركز القرار مَن يدرك، أن الأمة بغير لغتها لا يمكن أن تتطور وتصبح في مصافي الدول المتقدمة. تمّ تناول الثقافة ودورها الرئيس في وحدة الجماعة البشرية، التي تتميز عن غيرها اجتماعياً وتاريخيّاً ولغة. كما تمّ بيان اللغة ودورها في تقوية الولاء، إلى جانب غيرها من المحددات الأخرى: الدينية والتاريخية والفكرية، بل إن اللغة هي المستودع الأساس في الحفاظ على المحددات الأخرى. كما تمّ عرض قضية انحسار العربية اليوم، الذي لا يعود إلى عجز في منظومتها المعجمية أو النحوية، فهي من أغنى اللغات العالمية، بل هي أغناها على الإطلاق، لغة كرّمها الله ونزل بها القرآن الكريم، ولكن مردّ ذلك إلى ما تعيشه الأمة من اغتراب سياسي وفكري وعجز ثقافي، واهمال للعربية في المؤسسات التعليمية المدرسية والجامعية، وتفضيل أصحاب القرار، الذين يعانون من اغتراب لغوي، استخدام الإنجليزية أو لغة المستعمر بدلاً منها للوصول إلى العالمية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، المستقبل، اللغة، الهوية، المدرسة، الجامعة.

The Dialectics of the Relationship between the Language and the Cultural Identity

Professor Dr. Mahmoud Yousef Huseinat
Department of Modern Languages - Faculty of Arts - Yarmouk University

Language is the identity that distinguishes a nation from other nations, and the loss of language means the loss of identity and the futile search for the future. The importance of the research stems from the fundamental role of language in every nation searching for leadership and the future. Any nation

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

that underestimates its language is wasting its past, present and future. A nation searching for universality, especially in this era, in which English occupies the first linguistic position due to the strength of its speakers, cannot find its way in English or in other languages. Arabic has been a language for fourteen centuries, not only in the Arab world, but in the Islamic world. It can return if the nation draws inspiration from its past, and someone who realizes that a nation without its language cannot develop and become among the advanced countries occupies the decision-making position. Culture and its primary role in the unity of the human community, which is distinguished from others socially, historically and linguistically, were discussed. Language and its role in strengthening loyalty were also explained, along with other determinants: religious, historical and intellectual. In fact, language is the main repository in preserving the determinants. The other. The issue of the decline of Arabic today was also presented, which is not due to a deficiency in its lexical or grammatical system, as it is one of the richest languages in the world, in fact it is the richest of all, a language that God honored and in which the Holy Quran was revealed, but it is due to the political and intellectual alienation and cultural deficit that the nation is experiencing, and the neglect of Arabic in educational institutions, schools and universities, and the preference of decision-makers, who suffer from linguistic alienation, to use English or the language of the colonizer instead of it in order to reach the world.
-Keywords: Arabic, future, language, identity, school, university.

مقدمة

إذا كانت الثقافة تمثل مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية المشتركة لأمة من الأمم، فإن اللغة تعتبر محدداً رئيسياً لهوية الناطقين بها. فليست اللغة سوى الأمة، التي تعبّر عن ذاتها. وتعتبر اللغة أهم مقوم وعامل في تقدّم الأمم، ولا يكاد يشذّ عن هذه القاعدة أيّة أمة من الأمم، ومنها اللغة العربية – لغة القرآن الكريم، فهي وعاء لكل ما خطّه العلماء في الماضي والحاضر، ونور المستقبل الذي يُضيء للأمة الطريق، ويحفظها من الزوال. ولا يمكن لأمة أن تحقق ذاتها، إذا لم تعِ ما يدور حولها من حروب لغوية ثقافية ناعمة، تسعى إلى تفتيت الهوية الثقافية واللغوية.

وإذا أرادت الأمة بناء جيل مدرك لمسئوليته، ومرتبط بوطنه وهموم أمته، فلا بدّ أن يتعلم لغته، وكل محاولة لتوجيه الشباب نحو الثقافة الأجنبية واستخدام اللغة الأجنبية وطمس اللغة العربية لفصل الجيل عن ماضيه وهموم أمته، هي محاولة للقضاء على الأمة وإذلالها. وليس الحديث عن الأمة العربية من

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

منطلق التعصب القومي، ولكن كأمة عربية إسلامية، فالعربية عربية اللسان مع اختلاف المنابت والأعراق.

تحاول المداخلة تناول العديد من القضايا المطروحة، التي لها علاقة بمستقبل الأمة وهويتها اللغوية:

- هل التعليم الجامعي والمدرسي بغير اللغة الوطنية –وهنا اللغة العربية– مفتاح لصناعة المستقبل وسلك طريق التطور؟
- هل تعتبر المؤسسات الثقافية الأجنبية –المعاهد والجامعات والمراكز البحثية المختلفة، المنتشرة في العالم العربي نقطة تحوّل في تطوّر الأمة، أم أنها لها أهدافاً غير معلنة.
- لماذا يتم استخدام الإنجليزية أو الفرنسية في الكثير من المخاطبات الرسمية أو العامة، وتنتشر الشواخص واليافطات، التي تستخدم لغة أجنبية، كنوع من الولاء للماضي الاستعماري؟

دور الثقافة واللغة في تكوين الهوية

– الثقافة

تُمثّل الثقافة مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية، التي تتميز بها فئة اجتماعية معينة أو مجتمع معيّن من خلال سمات مشتركة، تنسج روابط معنوية، وتُنتج طمأنينة روحية، تُبعد عن الفرد والجماعة الغربة، وتُحقق تماسكاً معنوياً، فيتكوّن لديهم رؤية مشتركة للكون، ويُولّد تفاعلاً إيجابيّاً لبناء الحاضر والمستقبل. وتتقاطع الثقافة في تمظهراتها مع الهوية، التي تعتبر حصيلة التفاعل المشترك للجماعة تاريخيّاً وثقافيّاً في تحقيق الاندماج الاجتماعي والاختلاف عن الأخرين، علماً أن الهوية في جوهرها، "حقيقة تُولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب" (ميكشللي 1993: 7)، كباقي الظواهر الاجتماعية، التي قد تتعرض، على اختلاف تفرعاتها الفردية والجماعية والثقافية والعقائدية والحضارية، بفعل العوامل الداخلية أو الخارجية إلى الانكسار أو التشويه أو الفناء. ويبقى الكائن الاجتماعي العنصر الأساس في تدارك الخلل الحاصل وتجاوزه.

وتتميز الهوية الثقافية العربية بعدّة مقومات، تميزها عن غيرها من الهويّات الثقافية الأخرى، ويأتي في مقدمتها: العقيدة، التي تشكل رؤية الإنسان للكون، وتعتبر الأساس لعاداته وتفكيره وأخلاقه. واللغة، التي تعتبر من أهم مكونات الهوية الثقافية، باعتبارها أساس الانتماء للمجموعة، التي يتفاعل معها. وتلعب المقومات الأخرى دوراً محوريّاً لا يقل أهمية عمّا سبق، كالتراث الثقافي والتقاليد والتاريخ. فالعربية فضلاً عن كونها أداة للتواصل بين الأفراد، ووسيلة للتفكير الإنساني، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهوية الأمة.

– اللغة

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تمثل اللغة هوية الشعوب الناطقة بها، الحاملة لموروثها الثقافي والعلمي، المعبرة عن ثقافتها. وهي مرآة لتقدم الأمم ورقيّها. فكلما كانت اللغة واسعة الانتشار، فهي دليل على رقيّ وتقدم الأمة، التي تتحدث بها، بل وتعتبر رمزاً للشعوب الناطقة بها. فهي أداة للتفكير والتعبير والتواصل والتفاعل بين الأفراد، باعتبارها سمة من سماتهم الخاصة تميزهم عن غيرهم من الشعوب والأمم، وعاملاً مهماً في تقوية الولاء والانتماء للفرد والجماعة كمواطنين. وإذا كانت الثقافة في مكوناتها المختلفة كمنتج اجتماعي، تشتمل على منظومة العقائد والقيم والتصورات، وعلى مختلف تمظهرات الحياة اليومية، فإن اللغة تعتبر في مفهومها العام منتج تراكمي من منتجات الثقافة باعتبارها مستودعاً للفكر وصورة له، وهي على حد تعبير عالم اللغة الألماني يوهان غوتفرد هيردر Johann Gottfried Herder (1744-1803): "نبتة وطنية تتكون وفقاً لعادات شعبها وطريقة تفكيره" (جوزيف 2007: 121). فاللغة ليست مجرد أداة للتواصل بين الأفراد، ولكنها جوهر هوية المجتمع وعماد ثقافته وهويته وعقلها الاجتماعي، بل أن هناك من ردّ الهوية إلى اللغة، وأعتبر أن ظاهرة الهوية في عمومها يمكن أن تفهم على أنها ظاهرة لغوية (Herder 1852/1853: 34).

- اللغة العربية

تعتبر اللغة العربية محدداً رئيساً لهوية الناطقين بها، فليست اللغة سوى الأمة التي تعبّر عن ذاتها. فهي تجسيد قيم الأمة الروحية والعاطفية والذهنية، والمخزون الإستراتيجي لكل معارف الإنسان وخبراته، وعنوان هويته الفردية والجماعية، الحضارية والثقافية. فالعربية ليست مجرد أصوات تلقى تعبيراً عن رغبات، ولكنها ترجمة لأفكار وأساس البناء الثقافي، وأخطر الوسائل وأهمها في تفكيك المجتمعات، فهي لغة العلم في المدارس والجامعات والمراكز البحثية والمؤتمرات العلمية، وإضاعتها أو التفريط بها، مدخل لضياع الأمة العربية، التي تمر بأحلك أوقاتها. فليست العربية بمنأى عن التخلف المستشري في أروقة رجال السياسة في المجالات السياسية والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية. وفي ضوء اكراهات الواقع، وهيمنة لغة المستعمر -الإنجليزي والفرنسي- عسكرياً واقتصادياً، فإن العربية تحتل منزلة هامشية في الفكر العربي المعاصر، وينحصر دورها الحضاري، ليس عالمياً، ولكن لدى المتحدثين بها، الذين عليهم استخدامها لغة للعلوم والفكر والمحاورة. فلم يعد للعرب في ظل التشتت القائم قوامة على أنفسهم وقرارهم، ولا تشذ العربية لغة عن هذه القاعدة.

إن ما تعانيه اللغة العربية اليوم من تراجع وانحصار، لا يكمن في منظومتها المعجمية أو النحوية أو الصرفية، إنما فيما يعيشه العرب شعوباً وأنظمةً من أزمات سياسية وثقافية واغتراب روحي، وانبهار

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

بالتطور الحضاري، وسيطرة نخب سياسية واقتصادية جديدة غير خاضعة للمحاسبة إلى حدّ بعيد على صنع القرار. فليس للتحديث والتطور التقني بإلغاء ثقافات الأمم أو اجتثاث أصولها الحضارية أو تحقيق القطيعة مع الماضي علاقة بإلغاء ثقافات الأمم أو اجتثاثها من أصولها الحضارية ودمجها بالمركزية الغربية أو تحقيق القطيعة مع ماضيها. إن ما يقوم به مهندسو السياسات العالمية خلف الأبواب المغلقة من مشاريع عولمة، وما يرفعونه من شعارات برّاقة تخطف الأذهان، كعالمية الثقافة وحوار الثقافات والتنوع الثقافي وحقوق الأقليات والحريّات الفردية والديمقراطية اللغوية، ليست سوى حروب ثقافية لغوية ناعمة، تسعى إلى تفتيت الهويات الثقافية وجوهرها اللغوي، سعياً محموماً إلى الهيمنة اللغوية. ولا يمكن الوقوف في مواجهة العولمة المدمّرة، التي تصوّر الضحايا، بأنهم الخطر على الاقتصاد والسلام العالميين من دون الاشتغال على الأفكار وتحريكها للوقوف في وجه ما يُفرض من هيمنة لثقافة واحدة، وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة. فلكل مشروع سياسي مقتضياته الثقافية. ولا يمكن السيطرة على المجتمعات والدول وتحقيق أهداف سياسية واقتصادية والتحكم في مصيرها دون تفكيكها ثقافياً، لأن المحور الثقافي هو "الأساس للمجتمع والفرد، به تتشكل إنسانية الإنسان بكل أبعادها الفكرية والأخلاقية والدينية والاجتماعية" (بوعلاقي 2021: 267). وهو ما يفسّر ما تعرض له العراق سنة 2003 أثناء الغزو الأمريكي، من أعمال نهب وسلب في متحف الأثار، واضرام النار في المكتبة الوطنية والمكتبات العراقية في تدمير ممنهج لهوية العراق الثقافية.

اللغة العربية في المؤسسات التعليمية

يرتبط خلود اللغة العربية بخلود الأمة التي تتخذها أساساً في التعليم المدرسي والجامعي، وهو ما تسعى كل أمة تنظر إلى المستقبل، وتحاول بكل ما أوتيت من قوة إلى تغليب لغتها وفرضها في مدارسها وجامعاتها. ولا يكاد المرء يعثر في هذا العصر على أمة تدرس بغير لغتها، فألمانيا وفرنسا والسويد والصين واليابان، التي تعتبر من الدول المتقدمة في العلوم، لا تدرّس إلا بلغتها، وحتى الهند التي سعت بعد استقلالها إلى استخدام اللغات الهندية، وإن كانت أحياناً مع الإنجليزية، التي فرضها عليها الاستعمار البريطاني مدّة مائتي عام بحجة "تحديث وتطوير البلاد، حيث انصب الاهتمام على تعليم النخبة في المجتمع الهندي ليعملوا مترجمين بين المستعمر البريطاني وملايين الهنود اللذين تحت حكمهم، وكانت تلك الطبقة من الأفراد الهنود في الدمِ واللون، لكنهم إنجليز في الذوق وفي الآراء وفي الأخلاق وفي الفكر". ولكن الهند أصبحت بعد ذلك تكتب مختلف العلوم والفنون بلغاتها المتعددة. فاللغة هي الهوية، التي تجعل الأمة تتميز عن غيرها من الأمم، وضياع اللغة يعني فقدان الهوية، والبحث العبثي عن المستقبل" (فليبسون 2007: 164-165).

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

يعتبر التدريس باللغات الأجنبية في الجامعات العربية، وفي المدارس في بعض البلدان العربية: "إنكار للأمة والاستهانة بلغتها" (مطلوب 1975: 8). فقد انتشر بين بعض خريجي الجامعات الغربية، وما يثيرونه من شبهات وصعوبات لا تثبت أمام الواقع، أن العربية عاجزة عن الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم العلمي، وأن السبيل الوحيد إلى اللحاق بالأمم المتقدمة علمياً استخدام اللغة الأجنبية، بدلاً من تشخيص القضية والبحث عن الأسباب، التي تقف عائقاً أمام التدريس باللغة العربية، خاصة في المواد العلمية كالهندسة والطب والعلوم. "إن الأخذ باللغة القومية في التدريس يحل المشاكل ويقضي على التخلف ويصون الطاقات من الضياع، وقد أخذت بذلك أمم العالم وفرضت لغاتها القومية على المعاهد والجامعات" (مطلوب 1975: 52). ويتعلق نجاح التعليم باللغة العربية وتعريب العلوم الأجنبية بأجيال علمية واعية بالواجب، الذي يقع على عاتقها ومدركة لمسئولياتها، وأن وجود قناعة لدى الأجيال الرائدة في المؤسسات التعليمية، أن التدريس بالعربية قضية مصيرية تتعلق بالأمة ومستقبلها الحضاري، وأن تجاهلها تنكّر للأمة وماضيها. ومن يستبدل لغته بلغة أجنبية فقدَ كيانه، واقتلع جذوره بيده مهما كانت مبرراته. فالتدريس باللغة الأم يُنشئ أجيالاً قادرة على التفكير والفهم الدقيق، الذي لا يكون إلا باللغة الأم، ومن فكّر بلغة غير لغته التي يتقنها فقد القدرة على الإبداع.

اللغة العربية لغة الحضارة الإسلامية

نقل القرآن الكريم لغة القبائل العربية من أمة كانت تعيش ضمن حدود محددة إلى أمة تعيش في عالم واسع، وأصبحت العربية لغة أقوام دخلت في الإسلام، فدخلت ألفاظ ذات دلالات إسلامية، فنمت العربية وتطورت، فدُونت الأشعار وأُلفت الكتب في شتى المجالات، ونشات مصطلحات وتعابير جديدة تتعلق بالمهن والصناعات التي تعكس تقدم الأمة. وما كانت اللغة العربية – لغة القرآن الكريم– أن تنشر عبقها في كل البلاد إلى فتحها المسلمون، أو أثّروا في سكانها عن طريق التجارة والاختلاط، لولا استخدام العرب والمسلمين للغتهم العربية. وقد كانت نتيجة ذلك أن تركت العربية، التي أصبحت لغة العلم والحضارة، آثارها في العديد من اللغات العالمية كالإسبانية والإنجليزية والفرنسية، في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية، فضلا عن لغات الشعوب الإسلامية كالفارسية ولأوردية والتركية والملاوية، التي أخذت بالإضافة إلى ذلك الكثير من الألفاظ المتعلقة المعتقدات والدين الإسلامي (حسينات 2017: 4 وما بعدها).

وما كانت العربية أن تزدهر لولا الإرادة وتشجيع الخلفاء والقائمين على حراسة الأمة، الحريصون على مستقبلها. فالمناهج التعليمية التي تهمل عن قصد أو غير قصد ما قدّمه المسلمون، ومنهم العرب من علوم في شتى الميادين، كالطب والنبات والفلسفة والرياضيات والكيميا والفلك والجراحة لا تريد لهذه الأمة أن تصحو من سباتها.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وتتحدث المناهج على سبيل المثال عن العالم الأمريكي فرانك لويد رايت Frank Lloyd Wright (1867–1959)، والنمساوي بسيغموند فرويد Sigmund Freud (1856–1939)، والألماني فرانز روزنتالFranz Kurt W. Rosenthal (1914–2003)، وتغفل ذكر العلماء المسلمين، الذين سبقوهم بمئات السنين. فقد اخترع أبو عَلْي الحَسَن بن الحَسَن بن الهَيْثَم البصري (354 هـ/965م–430 هـ/1040م) ، ما يعرف الآن بالكاميرا، وشملت إنجازاته علوم الفيزياء وعلم الفلك والهندسة؛ والعالم المسلم أَبُو اَلْقَاسِمْ عَبَّاسْ بْنْ فِرْنَاسْ، المُلَقَب بـ"حكيم الأندلس" (810–887)، أول من قام بمحاولة للطيران؛ والعالم أَبُو اَلْقَاسِمْ خَلْفَ بْنْ عَبَّاسْ اَلزَّهْرَاوِي (913–1036)، الذي يلقب يُعرَف بـ"عميد الجراحين"، ويعتبر من أعظم الجراحين المسلمين في الأندلس، شرَح الجراحة وكان من أوائل المخترعين للكثير من الأدوات الطبيّة التي تستخدم في وقتنا الحالي، والعالم بَدِيعُ الزَّمَانِ أَبُو اَلْعِزِّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الرَّزَّازِ الجَزَرِيّ (1136–1206)، اخترع مضخات الماء، والعديد من الآلات الموسيقية. العالمة المسلمة مريم الإسطرلابية، التي عاشت في القرن العاشر وبرعت في علم الفلك، وبفضل أفكارها وابحاثها وعلومها توصّل العلماء إلى ما يعرف اليوم "بالبوصلة" و"علم الفلك". وهي مجرد أمثلة تُبيّن للقارئ جهل القائمين على حراسة الأمة ومستقبلها من مفكّرين وسياسيين، بقصد أو بدون قصد. فالتاريخ الإسلامي حافل بالعلم والعلماء، وعصور النور والمعرفة التي شيدها العرب والمسلمون بغداد والأندلس لا زالت شاهد على عظمة هذه الأمة.

ازدواجية اللغة

تتجلى أهمية اللغة في حالات الصراع والحروب والهيمنة بدرجة أقوى مما هي عليه في حالات التعاون بين الأمم، وذلك لأنها تمهد العقول للقبول أو الرفض، ليس من طرف الغالب، ولكن من طرف المتلقي المغلوب، الذي ينظر للأخر نظرة الكمال. وهو ما أشار إليه ابن خلدون في الجزء الأول من "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في "الفصل الثالث والعشرون", إلى الأبعاد النفسية والاجتماعية في تقليد الأجنبي، والأثار النفسية المترتبة على ذلك بقوله: "أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسّبب في ذلك أنّ النّفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إمّا لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أنّ انقيادها ليس لغلب طبيعيّ إنّما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتّصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبّهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه والله أعلم من أنّ غلب الغالب لها ليس بعصبيّة ولا قوّة بأس وإنّما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأوّل ولذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

اتّخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله" (بن خلدون 2014: 162). وهي دعوة إلى الابتعاد عن التقليد, وعدم الانقياد الأعمى للأجنبي.

فقد شاع استخدام كلمات أجنبية محدودة في المخاطبات اليومية، كما شاع استخدام الكثير من الكلمات الأجنبية في اللافتات الموجودة أما المحال التجارية، وفي الأسواق، وحتى الدوائر الحكومية، سواء باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، التي تترك الانطباع، أن المواطن العادي يتقن لغة المستعمر، أو أنها كلمات عربية، أصبح البعض ينظر إليها ويستخدمها على أنها عربية. ومن الكلمات المنتشرة في العالم العربي, على سبيل المثال لا الحصر: كلمة "كافية", التي تعني "مقهى", للدلالة على القهوة، و"Mocca" (Kluge 1975: 33)، التي تدل على نوع من أنواع القهوة، نسبة إلى مدينة المخاء في اليمن، التي كان تُصدّر القهوة إلى كافة بقاع العالم هي كلمات عربية؛ وكلمة "سوبر ماركت" التي تعود إلى اللغة اللاتينة، ولها في العربية العديد من المعاني التي تدل على هذا المعنى، كالدكّان، والحانوت، والسمّان؛ Kindergarten، التي تختصر "Kg كج" بدلاً من "روضة أطفال"؛ ودراي كلين "dry clean" بدلاً من مغسلة؛ ونوفوتيه "Novote" بدلاً من محل بيع الألبسة؛ وكوافير "Coiffeur"، وصالون "Salon" بدلاً من محل حلاقة أو حلاّق. والترجمات لهذه الكلمات وغيرها ركيكة وكثيرة الأخطاء، وهي مجرد أمثلة على الواقع القائم.

ويقع ضمن هذا النمط استخدام الاسم الذي يدل على الوظيفة أو المحتوى بالعربية: فشاعت كلمة فندق إمباسادور "Ambassador"، وانتركونتتال "InterContinental"، وجراند بلاس "Grand Plus"، وأصبحت تستخدم كلمة Hotel بدلاً من فندق أو مأوى، وتعدّى الأمر استخدام أسماء أجنبية إلى أحياء كشارع الغاردنز "Garden"، الذي كان يطلق سابقاً على شارع وصفي التل في العاصمة الأردنية عمان (الزغول 2005: 269). كما يتم العثور على لافتات إنجليزية وفرنسية في الأصل، كتبت بأحرف عربية، ثم بأحرف لاتينية، أو لافتات عربية ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية، وكتبت الترجمة بأحرف لاتينية، خاصة في الأحياء، التي يسكنها ذوي الدخل المرتفع, ولكنها تقلّ في الأحياء الشعبية من المدن والقرى.

إن ما يلفت الانتباه، أن ظاهرة استخدام الكلمات الأجنبية في تزايد مستمر، ويصعب على المواطن العادي فهما أو لفظها. سواء كتابة الاسم العربي بأحرف لاتينية، أو ترجمته إلى لغة أجنبية، وهي الإنجليزية في بلاد المشرق العربي، التي استعمرتها بريطانيا، وبعدها أمريكا، حيث أصبحت الأجيال الناشئة في بعض البلاد العربية ضائعة بين الإنجليزية والعربية، فلا هي أتقنت الإنجليزية ولا حافظت على لغتها العربية، أو الفرنسية في بلاد المغرب العربي. فالإسراف في استخدام اللغة الأجنبية في

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

اللافتات أو في الحياة اليومية، سيؤدي إلى مزيد من الضياع والاقتراض غير الضروري من اللغات الأخرى.

إن استخدام البعض الكلمات الأجنبية باعتباره دليل على الرفعة والسمو الاجتماعي والاقتصادي، هو في الحقيقة نوع من التظاهر والتقليد والتعويض عن العجز الروحي، والاعجاب بالحضارة. وتنمية ميول الأجيال الناشئة ودفعهم إلى الغلو في استخدام الكلمات الأجنبية على حساب اللغة الأم، وأمتنا في مرحلة أحوج ما تكون فيها إلى محاربة هذه الظاهرة، للحفاظ على لغتها، التي هي عنوان هويتنا. إنها خطوات مقصودة وغير مقصودة لتبقى أمتنا تعيش على هامش الأمم. فليس ثمّة ارتباط بين الاقتراض اللغوي لما يُستجد من مخترعات، قد لا نعثر على معادل لها في اللغة الأم، وبين الاقتراض غير الضروري الناتج عن فقدان الذات، والتهافت على اقتراض تعابير أجنبية، لإظهار المكانة الاجتماعية للأمة أو الأشخاص، التي ترمز لها معرفة تلك اللغة. فعندما تكون اللغة القومية، وهنا العربية مقننة ومحميّة من أصحاب القرار السياسي والثقافي، تصبح رمزاً لتماسك الأمة وحاجزاً أمام الانتقال المقصود أو العشوائي إلى لغة أخرى، سواء على المستوى الرسمي في الدوائر الحكومية والجامعات ومراكز البحث وأجهزة الإعلام، أو على المستوى الشعبي في اللافتات وأسماء الأماكن والمحالات.

خاتمة

- يرتبط ازدهار اللغة بشكل رئيسي بازدهار الأمة وتطورها في الجوانب الفكرية والثقافية والعلمية. فاللغة كائن حيّ، ينمو ويتطور ويزدهر وفقا للظروف السياسية والثقافية والفكرية للأمة التي تتكلم بها. وقد تعيش اللغة حالات تدهور وتخلف توصلها إلى درجة الموت على كل المستويات الصوتية واللفظية والدلالية، نتيجة لتدهور الوضع الفكري والثقافي والاجتماعي لأصحابها الناطقين بها. ولا تخرج العربية عن هذه المقولة، التي كانت على مدار أربعة عشر قرناً لغةً عالميةً للعلم والحضارة والتواصل، يتكلم بها المسلمون، ورمزاً للنمو، والتطور الفكري والثقافي والسياسي. وينطبق في العصر الحاضر على اللغات، التي تتصف بالقوة والحيوية، وينظر إليها على أنها لغات عالمية، كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية وغيرها. فقوة الأمة في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي يضفي على اللغة التي تتكلم بها وتستخدمها مقومات التطور والحيوية.
- إن ادراج علماء أوروبيون بقضّهم وقضيضهم في مناهجنا الدراسية في المدارس والجامعات، ونسيان أو تناسي حضارة استمرت أربعة عشر قرناً، زخرت بعلماء ومفكرين سبقوا علماء الغرب بمئات السنين بإنجازاتهم في كافة الميادين، إنما يشكل تجني على تاريخ الأمة، ودعوة للأجيال إلى الاستغراب

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

والاحتذاء بالغرب. في الوقت الذي كان فيه العالم البولندي كوبرنيكس يحاكم لأنه يتحدث عن كروية الأرض، ويُحرق تلميذه غوردانو بتهمة الهرقطة، ويُنفى العالم الإيطالي غاليليو غاليلي، لأنه تحدث عن حركة النجوم ويبقى قيد الإقامة الجبرية حتى الموت، كان العلماء المسلمون يترجمون الكتب ويؤلفونها في شتى المجالات.

- إن الارتباط بين الإسلام واللغة العربية، هو ارتباط جذري، والحرب على الإسلام تعني في جوهرها الحرب على العربية. فكل الدعوات إلى العامية، سواء في العالم العربي أو في المراكز الاستشراقية في الغرب، أو جعل العربية لغة ثانية في التدريس في البلاد العربية أو الإسلامية، تعني في حقيقتها اعلان حرب على العربية، والعودة للإسلام يعني العودة إلى الارتباط الطبيعي بين الإسلام والعروبة لتكون لغة المسلمين في عالم الفكر والثقافة والعقيدة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن مُحمَّد (2014): مقدمة ابن خلدون. دار الجيل: بيروت– لبنان 2014.

الزغول، محمد راجي (2005): دراسات في اللسانيات العربية الاجتماعية. مؤسسة حمادة للدراسات الجامعة والنشر والتوزيع.

بوعلاقي، محمد الصادق(2021): في اللغة والهوية الثقافية زمن العولمة. مجلة ندوة المدينة. اللغات بين الهوية والتعليمية. الدورة الأولى. جامعة القيروان: مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص تونس 2021، 263–288.

جوزيف، جون: اللغة والهوية قوميّة إثنيّة دينيّة. ترجمة عبد النور خرافي. عالم المعرفة عدد 342.

حسينات، محمود يوسف (2017): مقارنات لغوية. اللغة العربية ودورها في اغناء اللغات العالمية. Noor Verlag: Saarbrücken/Düsseldorf (Germany).

فليبسون، روبرت (2007): الهيمنة اللغوية. ترجمة سعد بن هاذي الحشاش. جامعة الملك سعود: الرياض، ص 164–165.

مطلوب، أحمد (1975): دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات. دار البحوث العلمية: الكويت.

ميكشللي، أليكس (1993): الهوية. ترجمة على وطفه. دار الوسم للخدمات الطباعية: دمشق.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المراجع الأجنبية

Herder, Johann Gottfried(1852/1853) : Sämmtliche Werke in vierzig Bänden. Stuttgart und Tübingen (J. G. Cotta'scher Verlag).

Kluge, Friedrich (1975): Ethymologisches Wörterbuch der deutschen Sprache. Walter de Gruyter: Berlin.